مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ يوحنا ٤:١٢-١٩)

اللهُ لم يُعاينْه أحدٌ قطُّ. إنْ أحبَبنا بعضُنا بعضاً يثبُتُ اللهُ فينا وتكونُ محبَّتُهُ كاملةً فينا* وبهذا نعلَمُ أنَّنا نثبُتُ فيهِ وهو فينا، بأنَّهُ آتانا من روحِهِ* ونحنُ قد علِمنا ونشهدُ أنَّ الآبَ قد أرسلَ الإبنَ مخلِّصاً للعالَم* فكلُّ مَن اعترفَ بأنَّ يسوعَ هو ابنُ اللهِ فإنَّ اللهَ يثبُتُ فيه وهو في الله* ونحنُ قد عَرَفنا وآمنَّا بالمحبَّةِ التي عندَ الله لنا. اللهُ محبَّةٌ. فمن ثبتَ في المحبَّةِ فقد ثبتَ في اللهِ واللهُ فيهِ* بهذا كملتِ المحبَّةُ فينا حتى تكونَ لنا ثِقةٌ يومَ الدين بأن نكونَ كما كانَ هو في هذا العالم* لا مخافةَ في المحبَّةِ بل المحبَّةُ الكاملةُ تَنفي المخافةَ إلى خارج. لأنَّ المخافةَ لها عذابٌ. فالخائفُ غيرُ كامل في المحبَّة* نحنُ نحبُّ اللهَ لأنَّهُ قد أحبَّنا هو أولاً.

صورة الرسول بطرس في إنجيل يوحنا

يحظى الرسول بطرس بأهميّة كبرى في الأناجيل. فاعتراف بطرس في قيصريّة فيليبي بيسوع مسيحاً (مر ٨:٢٧-٣٠؛ مت ١٦:١٣-٢٠؛ لو ٩: ١٨-٢١) يشكّل مفصلاً أساساً من مفاصل الأناجيل الثلاثة المعروفة بالإزائيّة، أي أناجيل متى ومرقس ولوقا. وتلتقي الأناجيل جميعاً على سرد حادثة نكران بطرس يسوع (مت ٢٦: ٦٩-٧٥؛ مر ١٤: ٦٦-٧٢؛ لو ٢٢: ٥٦-٦٢؛ يو ١٨: ٢٥-٢٧)، ما يدلّ على حضور هذه الحادثة القويّ في ذاكرة الكنيسة الأولى ووعيها. أمّا إنجيل متى فيتفرّد بذكر الكلمات التي خصّ بها يسوع رسوله أنّه يسلّمه مفاتيح ملكوت السموات ويعطيه سلطان الحلّ والربط (مت ١٦:١٩)، فيما يشير مرقس إلى أنّ يسوع هو الذي أعطى سمعان اسمه اليونانيّ «بطرس» (مر ٣:١٦).

كيف تظهر صورة الرسول بطرس في الإنجيل الرابع؟ من اللافت، أولاً، أن الإنجيليّ يوحنّا لا يجد من الضروريّ أن يشدّد كثيراً على المكانة التي خصّ بها السيّدُ بطرس. فهذه المكانة تبدو من المسلّمات، ولا سيّما أنّ الشرّاح يتّفقون اليوم على أنّ إنجيل يوحنّا كُتب بعد الأناجيل الثلاثة الأولى، في أواخر القرن الأوّل الميلاديّ، وأنّ كاتبه كان ملمًّا على الأرجح بمضمون هذه الأناجيل، فلم يكن يحتاج إلى تكرار كلّ ما ورد فيها. من جهة أخرى، يتفرّد إنجيل يوحنا بالإشارة إلى علاقة بطرس غير المباشرة بيوحنا المعمدان. فأندراوس، شقيق بطرس، كان، بحسب إنجيل يوحنا، من تلامذة المعمدان المباشرين (يو ١:٣٥-٤٢). وهو الذي أخبر شقيقه سمعان عن السيّد واقتاده إليه. ويؤكّد إنجيل يوحنا التقليد الذي نعثر عليه في إنجيل مرقس أنّ يسوع هو الذي أسبغ على سمعان اسماً آخر هو كيفا (يو ١:٤٢)، أي الصخرة. وتُترجم هذه اللفظة الآراميّة إلى اليونانية باسم «بطرس».

بعد ذلك، نجد بطرس في إنجيل يوحنا يؤكّد أنّ يسوع هو قدّوس الله، وذلك حيال التلاميذ الذين انكفأوا عنه (يو ٦:٦٦-٦٩)، بعدما جعل يسوع ذاته أفضل من الخبز الذي نزل من السماء على الآباء في البريّة (يو ٦: ٥٢-٥٨). هذا المقطع يشبه، إلى حدّ

العدد ٢٠٠٤/٣٩

الأحد ٢٦ أيلول

انتقال القديس الرسول يوحنا الإنجيلي الثاولوغس (أي المتكلّم باللاهوت)

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

الإنجيل

(يوحنا ١٩:٢٥–٢٧؛ ٢١:٢٤ و٢٥)

في ذلك الزمان كانت واقفةً عند صليبِ يسوعَ أمُّهُ وأختُ أمِّه مريمُ التي لكلاوبا ومريمُ المجدليةُ* فلمَّا رأى يسوعُ أمَّهُ والتلميذَ الذي كان هو يحبُّهُ واقفاً قال لأمِّهِ يا امرأةُ هوذا ابنُكِ* ثمَّ قالَ للتلميذِ هوذا أمُّك. ومن تلك الساعةِ أخذها التلميذُ إلى خاصَّتِه* هذا هو التلميذُ الشاهدُ بهذهِ الأمورِ والكاتبُ لها وقد عَلِمنا أنَّ شهادَتَه حقٌّ* وأشياءُ أُخَرُ كثيرةٌ صنعها يسوعُ لو أنَّها كُتِبتْ واحدةً فواحدةً لما ظننتُ العالمَ يسعُ الصحُفَ المكتوبةَ.

تأمل

إتّقِ الله واحفظ وصاياه (أمثال ١٢: ١٣) فتعاين محتقريك قد صاروا وراءك سريعاً. وإذا لم يكن ذلك ههنا فسيكون هناك. احفظ المحبّة مثل حدقَتَيْ عينيك، فإنّ فيها النور والحياة. احفظها فإنها سرور جميع مقتنيها. وهي مقتنى إلهي ومرتبة ملائكية. احفظها فإنك إن أحببتها تجدِّد حياتك كتجدُّد النسر. إذا حفظتها فستبتهج أمام الله. إن أحببتها فتتيسّر طرقك

ما، اعتراف بطرس بيسوع في قيصريّة فيليبي الوارد في الأناجيل الإزائيّة. غير أنّ بطرس يشير هنا صراحةً إلى إيمان التلاميذ الآخرين: «نحن آمنّا وعرفنا»، ما يُستدل منه على رغبة الإنجيلي يوحنا في التشديد على دور بطرس بوصفه ناطقاً باسم الإثني عشر. ويربط بطرس بين هويّة يسوع كونه قدّوس الله ووظيفته التعليميّة التي تفوق بأشواط ما كان معهوداً لدى المعلّمين اليهود. يسوع يحمل كلام الحياة الأبدية، فكيف يذهب الإثنا عشر إلى سواه؟

الحادثة التالية التي يسلّط فيها الإنجيل الرابع الضوء على بطرس هي حادثة غسل الأرجل (يو ١٣:٦–١٠)، حيث يظهر بطرس بمظهر غير الفاهم ما يتمّه يسوع، إذ يرفض، بدءاً، أن يترك الرب يغسل رجليه ولا يرضخ لرغبة سيّده إلاّ بعد ردّ فعل قويّ من يسوع الذي يعتبر أنّ بطرس لا نصيب له معه ما لم يدعه يغسل رجليه. وتستمرّ مسيرة عدم الفهم البطرسيّ خلال ساعات يسوع الأخيرة. فبطرس لا يعرف إلى أين ينطلق سيّده ولا يفهم لماذا لا يستطيع أن يتبعه مؤكّداً، من جهة أخرى، أنه يبذل نفسه عنه، الأمر الذي يحرّض يسوع على مكاشفته أنّه سينكره قريباً (يو ١٣:٣٦–٣٨). وهو الذي يستلّ سيفه، ساعة التسليم، ويقطع اذن ملخس، عبد رئيس الكهنة، مستدعياً مرّةً أخرى توبيخ معلّمه (يو ١٨:١٠–١١).

من جهة أخرى، تنسج قصّة ساعات يسوع الأخيرة، كما يرويها الإنجيل الرابع، علاقة منافسة خفيّة بين بطرس وشخصيّة أخرى هي التلميذ الذي يحبّه يسوع. وقد رأى تقليد الكنيسة في هذا التلميذ صورة الإنجيليّ نفسه، لكنّ الواضح أنّ نصّ الإنجيل يتكتّم على هويّة هذه الشخصية. فبطرس يوعز إلى التلميذ الحبيب المتّكئ في حضن يسوع (يو ١٣:٢١–٢٤) أن يسأله عمّن يسلّمه، وكأنّه يتهيّب أن يفعل ذلك بنفسه. ولا يتمكّن بطرس من الدخول إلى دار رئيس الكهنة حيث تجري محاكمة يسوع إلاّ عبر وساطة التلميذ الآخر الذي كان معروفاً في أوساط رئيس الكهنة (يو ١٨:١٥–١٨). ونجد أنّ بطرس هو أوّل من يدخل القبر بعد خبر عدم العثور على جسد يسوع الذي حملته مريم المجدليّة، وذلك انسجاماً مع التقليد الأوّل الذي يؤكّد أنّ بطرس من أوائل الشهود على قيامة يسوع (١ كور ١٥:٥)، فيما التلميذ الآخر لا يدخل القبر إلاّ بعد بطرس. بيد أنّ الإنجيليّ يوحنا يشدّد على إيمان هذا التلميذ بالقيامة ولا يخبرنا شيئاً عن إيمان بطرس (٢٠:١–١٠). ويدلّ كلّ هذا على رغبة الإنجيليّ في أن يرسم صورة التلميذ الحبيب على نحو نموذجيّ، مركّزاً على مثاليّة سلوك هذا التلميذ مقارنةً بتلكّؤ بطرس وعدم فهمه ونكرانه السيّد. فالحبيب هو القريب من السيّد قبل آلامه إلى درجة الاتّكاء على صدره. وهو من يلازمه خلال هذه الآلام عبر وجوده دون سواه من التلاميذ عند أقدام الصليب إلى جانب والدة الإله. وهو أوّل من يؤمن بالقيامة وأوّل من يتعرّف إلى السيّد بعد قيامته خلال حادثة الصيد العجائبيّ (يو ٢١:٧). بذا، يصبح التلميذ الحبيب شخصيّةً نموذجيّة في الإنجيل يُتوقّع من القارئ أن يتماهى بها.

في الإصحاح الأخير من إنجيل يوحنا، ينعطف يسوع على بطرس الذي أنكره طالباً منه ثلاثاً أن يرعى خرافه ومنبئاً باستشهاده (يو ٢١:١٥–١٩). رمزيّة العدد بيّنة هنا. فيسوع يصحّح بسؤاله الثلاثي نكران بطرس إيّاه ثلاثاً. ويبدو أنّ بطرس

في أعمالك جميعها. إن أحببتها تسكن فيك نعمة الله وتكون النعمة ينبوع أشفية للناس وبطيب نسمتها ينتعش قلبك، فإنها هي قاعدة الفضائل جميعاً. لا حزن على موت فيها. تعلّم العدل والشجاعة، الصبر والسلام. الرب نفسه هو يعطينا إياها واثمارها.

فليحبَّ بعضنا بعضاً ليخزى عدوّنا، لأنه لا يزال ينفث غيرة وحسداً على عبيد الله، ولأن تابعي مشورة العدوّ إذ رأوا بينهم أخاً يخدم الرب في صميم نفسه ويرضيه، فلا يُسرُّون، بل ينسجون له الحيل ليطردوه ويفعلون ذلك خشية نجاحه في التقوى الخالصة فيضحي أقوى منهم. فإذا طرد هذا وانصرف يكون مبرّراً من تبعة الانفصال. أما الذين تسبَّبوا له في ذلك فلن يكونوا أبرياء.

... ليحبَّ بعضنا بعضاً؛ حتى إذا ما رأى الرب إيماننا ومودّتنا بعضنا لبعض في مخافته يفرح بنا على حسب ما كُتب: «ليفرح الرب بأعماله» (مز ١٠٣:٣١)، تيقظ واحذر، لأن حيلَ المحال عديدة. فإذا رأى أحداً يريد أن يتيقظ يثير عليه أخاً من المتوانين جداً لكي يستولي عليه. فإذا ارتبطا بصداقة يُنمي بينهما المودة والدالة، لا تعلّم الدرس جيداً. فهو يأبى الادّعاء أنّه يحبّ معلّمه أكثر من بقيّة التلاميذ. لكنّه لا يتورّع هذه المرّة أيضاً عن الاستخبار عن مصير التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبّه، من دون أن يلقى جواباً واضحاً. الإنجيل الرابع يقرّ، إذاً، بالتقدّم الذي كان لبطرس من حيث موقعه بين التلاميذ وما خصّه به السيّد من تكليف برعاية الأغنام، أي بالدور المميّز الذي لعبه في المرحلة التأسيسيّة للكنيسة والذي نقرأ عنه في كتاب أعمال الرسل، مؤكّداً أنّ هذا الدور يتكلّل باستشهاد بطرس. بيد أنّه، من جهة أخرى، لا يسعى إلى إخفاء ما انتاب بطرس من ضعف مبيّناً أنّ تقدّمه إنّما هو نعمة مجانيّة من السيّد، لا نتيجة استحقاقه البشريّ.

العظة على الجبل والعجائب

«وكانَ يسوعُ يطوفُ كلَّ الجليلِ يُعلِّمُ في مجامعِهم ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويشفي كلَّ مَرَضٍ وكلَّ ضعفٍ في الشعبِ. فذاعَ خَبَرُهُ في جميعِ سوريَّةَ، فأحضَروا إليهِ جميعَ السُّقَماءِ المُصابينَ بأمراضٍ وأوجاعٍ مختلفةٍ والمجانينِ والمصروعينَ والمفلوجينَ فشفاهم» (متى ٤: ٢٣ و٢٤).

بهذه الكلمات يبتدئ الإنجيلي متى العظة على الجبل كما ينهي الحديث عن العجائب بنفس العبارة (متى ٩:٣٥). وفيها نلاحظ تلازم التعليم والشفاء. كان يسوع يُعلّم في المجامع ويشفي كل مرض في الشعب. تلازم البشارة والعجائب أمر طبيعي لأن من يقوم بهما هو الإله المتجسد، هو الله، ولا بد أن تترجم بشارته أعمالاً. إذا كان يبشر بالملكوت، فهذا الملكوت يبتدئ من هنا حيث الناس يحصلون على شفاء النفس والجسد، لأن في الملكوت ينتهي كل ألم ووجع وشدة. كان الشعب ينبهر لأن تعاليم الرب يسوع كانت تترجم أعمالاً. على هذا الأساس ينهي الرسول متى العظة على الجبل بقوله: «فلمَّا أكملَ يسوعُ هذه الأقوالَ بُهتتِ الجموعُ من تعليمِهِ، لأنَّهُ كان يعلّمهم كمَنْ لهُ سلطانٌ وليسَ كالكتبةِ» (متى ٧:٢٨ و٢٩). سلطان يسوع له وجهان: وجه تعليمي ووجه عملي. كلامه فاعل وليس ككلام الكتبة والفريسيين.

مباشرة بعد العظة على الجبل ينتقل الرسول متى إلى الحديث عن العجائب التي اجترحها الرب، فيسرد عدداً كبيراً منها في الإصحاحين الثامن والتاسع من إنجيله. يتبع في هذا السرد منحًى تصاعدياً لاهوتياً فينطلق من مجرد عجيبة شفاء مريض أبرص ليصل إلى المفلوج الذي يقول له الرب مغفورة لك خطاياك. هذا ما يؤكد ما قلناه أعلاه ان الهدف في الأخير أن يوصلنا الرب إلى الملكوت.

العجيبة الأولى هي شفاء إنسان أبرص يهودي (متى ٨:٢–٤) يطلب منه الرب أن يذهب ويُري نفسه للكاهن ويقدِّم القربان «الذي أمر به موسى شهادة لهم». في هذه العجيبة يظهر الرب سلطانه على جماعة الله العبرانيين. بعدها يورد الإنجيلي متى حادثة شفاء غلام قائد المئة الروماني الوثني (متى ٨:٥–١٣) ليظهر سلطان يسوع لا على اليهود فقط بل وعلى كافة أبناء البشر حتى ولو كانوا وثنيين. فهو خالق السماء والأرض: «للرب الأرض وملؤها، المسكونةُ وكلُّ الساكنينَ فيها» (مز ٢٤:١). يسرد متى هذين الشفاءين بتفصيل، ثم يذكر شفاء حماة بطرس وعدد كبير من المجانين والمرضى. هذه الشفاءات برهان قاطع

للفضيلة بل ليلقي الكدر في أفكارهما بتأثير هذه الصداقة الحميمة ويلقحها بلذة الهوى. فيقع شرّ عظيم. وبعد العمل هذا تشتد البغضاء بمقدار ما كان بينهما منذ هنيهة من المحبة غير اللائقة. أما المتقي الرب فلا يحبّ أحداً محبة خالية من الحكمة العلوية أي طاهرة ثم سلامية وما يلي ذلك.

إذا سكنت مع أخوة فلا تتعود أن تأمر، بل الأولى أن تصير لهم مثالاً للأعمال الصالحة (تي ٢: ٧)، مطيعاً لما يقوله لك الآخرون. وإذا اقتضى الحال أن تتكلَّم فكن كمن يشير (أي يتكلَّم بالإشارة). وإن جاوب أخ وقاوم ما قلت فلا تدع ذهنك يُغلَب بالغيظ، بل اطرح مشيئتك من أجل المحبة والسلام. فإن طردت الغضب الشيطاني بالوداعة، فلن يتسلط عليك. وقل فيما بعد للذي قاوم أقوالك: أيها الأخ المبارك أنا تكلمت بما يليق، وهذا هو قصدي. فاغفر لي. وليكن الأمر كما قلت أنت. وبهذا تكون قد عدت أدراجك مخزياً المحال منشئ الهياج لأن من يخاصم ويتشبث بمشيئته يثير بلبلة وغضباً لا يشفى. والغضب يستريح في أحضان المنافقين.

القديس أفرام السرياني

للإنجيلي متى على أن يسوع هو المسيح المنتظر مخلص العالم. لذا ينهي كلامه بالقول: «لكي يتمَّ ما قيلَ بإشعياءَ النبيِّ القائلِ هو أخذَ أسقامَنا وحملَ أمراضنا» (متى ٨: ١٧). كلام الأنبياء ينطبق على يسوع الناصري لذا فهو المسيح المنتظر.

بعد الشفاءات يورد الإنجيلي حديثاً ليسوع مع شخصين يريدان اتباع يسوع أينما يمضي. فيقول الرب للأول ان من يتبع يسوع عليه أن يحتمل المشقات «أما ابنُ الإنسانِ فليسَ لهُ أينَ يُسنِدُ رأسهُ» (متى ٨: ٢٠)، ويقول للثاني «اتبعني ودَعِ الموتى يدفِنونَ موتاهُمْ» (متى ٨:٢٢).قد يقول البعض ان هذا الكلام لا علاقة له بالعجائب. هذا جائز إذا نظرنا إلى قشور الأمور، إنما الجوهر يختلف. مهمة يسوع أن يجذب البشر إليه ويدخلهم الملكوت. من أراد الملكوت عليه أن يتخلى عن كل اهتمام دنيوي ليستحق الدخول إليه.

يعود الإنجيلي إلى العجائب، ولكن هذه المرة ليظهر سلطان يسوع لا على البشر فحسب، بل وعلى الطبيعة أيضاً. لذا يورد حادثة وجود يسوع مع التلاميذ في البحر (متى ٨:٢٣–٢٧) وقد غطت الأمواج السفينة. الرب نائم في السفينة التي تكاد تغرق، يوقظه التلاميذ «يا سيِّدُ نجِّنا فإننا نهلِكُ... ثم قامَ وانتهرَ الرياحَ والبحرَ فصارَ هدوءٌ عظيمٌ. فتعجَّبَ الناسُ قائلينَ أيُّ إنسانٍ هذا فإنَّ الرياحَ والبحرَ جميعاً تُطيعهُ». هذا الإنسان بنظرهم هو الإله المتجسد، رب السماء والأرض.

بعدها ترد حادثة شفاء المجنونَين الخارجَين من القبور (متى ٨:٢٨–٣٤) وفيها يظهر سلطان يسوع على الشياطين التي تعترف به انه «ابن الله». «ما لنا ولكَ يا يسوعُ ابنَ اللهِ. أجئتَ إلى هنا قبلَ الوقتِ لتُعذِّبَنا». بوجود الرب لا تستطيع الشياطين فعل أي شيء، حتى انها طلبت منه الإذن لتخرج من المجنونَين وتذهب إلى قطيع الخنازير: «فالشياطينُ طلبوا إليه قائلينَ إن كنتَ تُخرِجنا فأْذَنْ لنا أن نذهبَ إلى قطيعِ الخنازيرِ. فقال لهم امضوا».

بعد الشفاءات والعجائب التي تظهر سلطان يسوع على الإنسان والمرض والطبيعة والشياطين ينقلنا الإنجيلي متى إلى الجوهر الأساسي وهو سلطان يسوع وقدرته على شفاء أصل المرض وفساد الطبيعة وحيَل الشيطان، أعني قدرته على شفاء الخطيئة ككل. في الأخير، هو يكرز ببشارة الملكوت ويريد عودة الجميع إلى هذا الملكوت. وإن لم يحصل الإنسان على شفاء روحه فلا معنى لشفاء جسده. على هذا الأساس يورد متى في بداية الإصحاح التاسع حادثة شفاء المفلوج (٩:١–٨) الذي يقول له الرب «ثِقْ يا بُنيَّ مغفورةٌ لكَ خطاياكَ». اتهمه الكتبة بالتجديف، لأنه من يستطيع غفران الخطايا إلا الله؟ أجابهم يسوع «لكي تعلموا أنَّ لابنِ الإنسانِ سلطاناً على الأرضِ أن يغفرَ الخطايا. حينئذٍ قالَ للمفلوجِ: قُمِ احمِلْ فِراشَكَ واذهبْ إلى بيتِكَ». همُّ يسوع أن ينقله إلى ما هو أبعد من شفاء الجسد. المهم أن يحصل الإنسان على شفاء الروح. إثباتاً لهذا المفهوم يورد متى مباشرة قصة دعوته ليكون في عداد التلاميذ وهو العشار، الخاطئ بنظر الناس، وقصة تناول يسوع الطعام مع العشارين والخطأة، وجوابه للفريسيين: «لا يحتاجُ الأصِحَّاءُ إلى طبيبٍ بل المرضى. فاذهبوا وتعلَّموا ما هُوَ... لأنّي لم آتِ لأدعُوَ أبراراً بل خطأةً إلى التوبةِ» (متى ٩: ١٢–١٣).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb